علماء العصر. وأنا سمعت مجالس تفسيره القرآن ومواقف إملائه للحديث، ولكن كان ذلك حضوراً فقط. وكان يبذل نفسه في قضاء حوائج من يستعين به، ويبالغ في ذلك. ولم يترك طريقاً من طرق الخير إلَّا سلكها وفاق فيها.

ووالد صاحب الترجمة كان من أكابر العلماء، أخذ عن جماعة من أهل العلم منهم المحدّث الكبير عبد الرَّحْمن بن مُحمَّد الحَيْمي المتقدم ذكره، والمحقق العلَّامة صَالح بن مَهْدي المقبلي، وكان يُحيي الليل يَدْرُس كتاب اللَّه، وإذا غلبه النوم نامَ متكئاً قليلاً ثم يعود للتلاوة. وحصل بخطه كتباً في عدة فنون. وكان يخطب بمدينة ثَلا، واستمرّ على ذلك حتى توفَّاه اللَّه تعالى.

(٣٨٣)
(لُطْفُ اللَّه بن أحمد بن لُطْف اللَّه بن أحمد بن لُطْف اللَّه بن أحمد جحَّاف)[١]

الصنعاني المولد والدار والمنشأ. ولد نصف شعبان سنة ١١٨٩ تسع وثمانين ومائة وألف، وأخذ العلم عن جماعة من علماء العصر منهم شيخنا العلَّامة السيد عليّ بن إبراهيم بن عَامِر، والسيد العلَّامة عليّ بن عبد اللَّه الجلال، وشيخنا العلَّامة القاسِم بن يَحْيَى الخَوْلَاني، والسيد العلَّامة إبراهيم بن عبد القادر، وغير هؤلاء من أعيان العلماء. ولازمني دهراً طويلاً فقرأ عليّ في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والحديث، وبرع في هذه المعارف كلّها، وصار من أعيان علماء العصر وهو في سنّ الشباب. ودرس في فنون وصنّف رسائل أفرد فيها مسائل، ونظم الشعر الحسن، وغالبه في أعلى طبقات البلاغة. وباحث كثيراً من علماء العصر بمباحث مفيدة يكتب فيها ما ظهر له ثم يعرضها على مشايخه أو بعضهم، ويعترض ما فيه اعتراض من الأجوبة. وقد كتب إليّ من ذلك بكثير بحيث لو جمع هو وما أكتبه عليه من الجوابات لكان مجلداً. ولعل غالب ذلك محفوظ لديه، وعندي منه القليل. وهو قوي الإدراك جيد الفهم حسن الحفظ مليح العبارة فصيح اللفظ بليغ النظم والنثر ينظم القصيدة الطويلة في أسرع وقت بلا تعب، ويكتب النثر الحسن والسجع الفائق بلا تَرَوٍّ ولا تفَكُّر. وهو طويل النفس ممتع الحديث كثير المحفوظات الأدبية، لا يتلعثم ولا يتردد فيما يسرده من القصص الحِسَان، ولا ينقطع كلامه، بل يخرج من الشيء إلى ما يشبهه، ثم كذلك حتى ينقضي المجلس وإن طال. وله ملكة في المباحث الدقيقة مع سعة صدر إذا رام من يباحثه أن يقطعه في بحث لم ينقطع بل

(١) ترجمته في: الأعلام: ٥/ ٢٤٢؛ نيل الوطر: ٢/ ١٨٩.

يخرج من فنٍّ إلى فنّ. وإذا لاح له الصواب انقاد له. وفيه سلامة صدر زائدة بحيث لا يكاد يحقد على من أغضبه، ولا يتأثر لما يتأثر غيره بدونه. وهو الآن من محاسن العصر، وله إقبال على الطاعة وتلاوة القرآن بصوته المطرب. وفيه محبة لِلحقّ لا يبالي بما كان دليله ضعيفاً وإن قال به من قال. ويتقيد بالدليل الصحيح وإن خالفه من خالف. وهو الآن يقرأ عليّ في صحيح البخاري، وفي شرحي للمنتقى. وقد سمع مني غير هذا من مؤلفاتي وغيرها. وقد اختص بالوزير العلَّامة الحَسَن بن عليّ حَنَش، وصار لديه بمنزلة ولده لا يفارقه في غالب الأوقات وتستمر المباحثة بينهما في عدة فنون، وإذا طال بينهما الخلاف أَشْرَكاني في البحث، وأرسلا إلي بما تحصل من ذلك فأكتب ما يظهر، وأرجعه إليهما. ولم يكن في طلبة العلم الآن من له في الرغبة في المذاكرة على الاستمرار ما لصاحب الترجمة. وقد طارحني بقصائد فرائد كتبتها في مجموع شعري، ومما لم أكتبه هنالك ما كتبه إليّ في الأسبوع الذي حرَّرت فيه هذه التراجم، وهو قصيدتان القصيدة الأولى هذه: [من الطويل]

إلى مُنْتَهى السّؤلِ الذي بحياتهِ ... يقومُ على ساقِ المُناضلةِ المَجْدُ[١]
إلى دولةِ العلم الذي حام حَوْلها التُّـ ... ـقَى وانثنى عنْ سُوحها الكفرُ والجَحْدُ[٢]
إلى حَيْثُما قامَ الفخارُ وحَيْثُما اسـ ... ـتقام العُلا حيثُ انتهى حَيثما يَبْدو
إلى حَيْثما النقع استدار وحيثما الْـ ... ـبواتِرُ حيث اشتدت الضُّمَّرُ الجُرْدُ[٣]
إلى حَيْثما خُطّ العُلا في صحايف الْـ ... ـمحاسن آثاراً بها يَزْدَهي العَبْدُ
إلى مُنتهَى أمنيةٍ حيثُ تبتدي المـ ... ـنايا التي إنْ قام ذو غِيلةٍ تَعْدُو[٤]
إلى رَوْضةٍ غَنَّا إلى ربوةٍ بها ... مَعينٌ به تربو الفوائدُ والرّفْدُ[٥]
إلى بحرِ علم عنْ نداه تدفَّقَتْ ... جَداول تحقيقٍ بها اسْتُعذِبَ الوِرْدُ[٦]
فتًى ما ربي إلَّاً بِحجْرِ التُّقى ولا ... نَشَا فاضلاً إلَّا وَسِيمَتُه الزّهْدُ[٧]
جَرَى في ميادينِ الفضائلِ سَاحِباً ... ذُيولَ الرّضى لما دَهَى غَيْرَهُ الحِقْدُ[٨]

---

(١) المناضلة: المباراة والمفاخرة.
(٢) السُّوحُ: جمع الساحة: المكان الواسع، أو فضاء يكون حول الدور. الجَحْدُ: النكران.
(٣) النَّقْعُ: غبار المعارك. البواتر: السيوف القواطع. الضُّمَّرُ: المُروَّضة المُذلَّلَة (والمراد: الأحصنة). الجُرْدُ: القصيرة الشعر.
(٤) الغيلة: اسم من الاغتيال، ويقال: قتله غيلةً: على غفلةٍ منه.
(٥) روضة غَنَّا (غَنَّاء): كثر شجرها والتفَّ، فَكَثُر ذُبابُها، فَسُمِعَ له غُنَّة. الرِّفْدُ: المعونة.
(٦) الوِرْدُ: الإشراف على الماء، أو الماء الذي يُورَدُ.
(٧) سِيمَتُه: علامته.
(٨) دهاه الأمر: أصابه.

وَأرضعه ثديُ الفصاحةِ مِنْ لَبا نهِ فرأى حقّاً على الكِبَر المَهْدُ
إذا اقتطفتْ أثمارَ تحقيقِ عِلمهِ أناملُ فِكري أسعفَ الحلّ والعَقْدُ
وإن غرّدت في روضةِ الحكم نشوةً بَلابلهُ هَزّتْ مَعاطِفَها المُلْدُ[١]
وبين يديه الشعرُ مُدَّ بصائغ الـ ـقَوافي وما في طيّها رِيطَةٌ جردُ[٢]
وَحاك له المنشورُ ما بِطرازهِ تَبخْترَ بشَّارٌ وقال أبي بُرْدُ[٣]
وَما اتجرتْ أقلامُه غَيْر مُعجزٍ يُنمّقُ في تحقيقهِ الجوهرُ الفَرْدُ[٤]
ولما نَشَا في الناسِ فَذًّا أتيتهُ فَصافحَ إذ وافيتهُ بَيننا الوِدُّ
وَشاهَدْتُ إنساناً بخلقِ مُحمَّدٍ تخلّقَ فاسْتيقَنْتُه أنه الرُّشْدُ
وَحينَ استمالتني الليالي بِحكْمِها رَجعتُ وقام الشوقُ من طَربٍ يَعْدو
ونَاديتُ أيْ نفسي انتباهاً فإنَّما الليالي بِعُذْرٍ لِلمُنعّم تَعْتَدُّ
وفي شَيخنا البَدرِ المنيرِ مُحمَّدٍ لِرفعةِ قَدْري أسوةٌ دُونها القَصْدُ[٥]
هُو البرُّ والبحرُ الذي عِلْمُ صَدْرِهِ يفيضُ على الطلابِ إن جَزَرَ المَدُّ
وَمُعتقدي في الناس أنّ وِدَادَهُ مِنَ القُرَبِ اللاتي يُنالُ بها الحَمْدُ[٦]
إليْكَ نظاماً وَجَّهتْهُ قَريحةٌ بِمُرْهَفها البيضُ السَّلاهِبُ تَنْقَدُّ[٧]

فأجبت بهذه الأبيات: [من الطويل]

أتَى مِنْكَ يا فَخْرَ الأوانِ وزينةَ الزّ مان نظامٌ دُونه الجَوْهَرُ الفَرْدُ
كما الدرّ لا بَلْ كالدّراري بلْ غَدا كَبدْرِ السّما لا بَلْ هو الشمسُ إذ تَبْدُو
وَماذا عَسَى مَنْ لَمْ يَكُنْ ربّ نصفةٍ يقولُ وهَلْ في مثلِ ذا يَحْسُنُ الجَحْدُ[٨]
وَهَلْ ضَرّ شَمْس الأفقِ وَهي مُنيرةٌ إذا ضَعفتْ عن نورِها الأعين الرُّمْدُ[٩]
وماذا على البحرِ الخِضَمِّ لَدى الوَرَى إذا بالَ في إحدى جَوانبه القِرْدُ[١٠]

---

(١) معاطفها: جوانبها. المُلْدُ: اللَّيِّنَةُ، الطَّرِيَّة.
(٢) بشار: هو بشار بن برد العقيلي، الشاعر العباسي المتوفى سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٤م.
(٣) يُنمّقُ: يُزيّن. (٤) اعْتَدَّ الشيء: أحضره، أو أدخله في الحساب والعَدّ.
(٥) الأُسوة: القُدوة.
(٦) القُرَبُ: جمع القُربة: ما يُتقرَّب به إلى اللَّه تعالى من أعمال البرِّ والطاعة.
(٧) المرهف: الدقيق الحادُّ. السَّلاهب: جمع السّلْهب: الطويل من الناس والخيل. تَنْقَدُّ: تَنْشَقُّ.
(٨) الجَحْدُ: النكران وكفر النعمة.
(٩) الأَعينُ الرُّمْدُ: التي أصابها داء الرَّمَد.
(١٠) الخِضَمُّ: الكثير الماء.

وما عيب بيضاء الترائب في الدّنى إذا عافَها ذو عِفّة ماله جُهْدُ[١]
ومَنْ قال هذا الشهدُ مرٌّ فَقُلْ لهُ مَرارةُ فيكَ المرِّ مرَّ بها الشّهْدُ
وإنْ قالَ هذا السيفُ ليسَ بقاطعٍ فَقُلْ حَدُّه ما بيننا الفَصْلُ والحَدُّ
مَناقبُ لطفِ اللَّه جلّتْ فمنْ غَداً يُردّدها جَهْلاً بها بَطُلَ الرّدُّ
فتًى قَدْ رَقى في مَدْرَج العِزّ وارتدى بثوبِ الهُدى وانقاد طَوْعاً له المَجْدُ
وَسُؤْددُه في كلّ بابٍ من العُلَى بِرُغْمِ أعاديه هُو السُّؤددُ العدُّ[٢]

وهذه القصيدة الثانية المشار إليها سابقاً. وقد أشار في الأربعة الأبيات التي في آخرها إلى الوزير المتقدم ذكره، وكتب قبلها نثراً من نثره الذي يعرف به صدق ما أسلفناه فقال:

الحمد للَّه برفع القلم، إلى مسامع عاقد ألوية الهِمَم، سلطان علماء الإسلام من العرب والعجم، كعبة الفضل المرتفعة المقام، حافظ العصر بالأطباق من أهل الحلّ والإبرام. من تضمنت بطون الدفاتر محامده فَلِلَّه ذلك التضمُّن والالتزام. وجرى قلمه بروائع البدائع فأعيا من له بالنظم إلمام. المحيي من ربوع المدارس، كل مُهنَّدٍ داثرٍ دارس. السابق في حلبة ميدان الفضائل، المرتدي برد التبجيل وشملة محاسن الشمائل. ريحانة فضلاء اليمن، سلوة المُتحلّي بعقد الفرائض والسنن. سلاماً يعبق بطيبه نسمة الصبا، ويعيد لفظه إلى الأجسام نشاط زمن الصبا. ثم ذكر بعد هذا التصدير القصيدة وهي: [من الكامل]

لَأُغالبنَّ الشَّوْقَ فِيما أَبْرَمَا وَلأطْفِينَّ مِنَ الجَوَى ما أَضْرَما[٣]
وَلأشْغلَنَّ القلبَ عِندَ تذكّرِ البـ ـيضِ الحِسَانِ وإنْ أبَى وَتأثَّما[٤]
فَلقدْ سَقاني اللَّهْوَ مِنْ خَمْرِ الهَوَى قَدحاً وعدتُ إلى الهُدَى مُسْتَعْصِمَا
مِنْ بَعد أن قد كنتُ أُنهى عن مُجا نبةِ السُّلافِ ولا أطيعُ اللُّوَّما[٥]
وأحرّضُ الصاحي فلا إثمٌ ولا جَنَفٌ وأزجرُ بالخَنا من حَرَّما[٦]

(١) الترائب: جمع التريبة: موضع القلادة من العنق، وبيضاء الترائب: امرأة صفتها كذلك. عافها: كرهها.
(٢) السُّؤدد: المنزلة والسيادة والشرف.
(٣) أبرم الشيءَ: أحكمه. الجوى: حرقة الحبّ أو الحزن أو الوجد. أضرم: أشعل.
(٤) أَبَى: رَفَضَ. تأثَّم: اقترف إثماً.
(٥) السلافة: ما خَلُصَ من الخمر.
(٦) الجَنَفُ: الظُّلم والجَوْرُ. أزجر: أكفُّ وألومُ. الخنا: الفحش في الكلام.

ثُـمَّ انـثـنـيـتُ وقَـدْ قَـضـيـتُ مـآربـاً ... وَرجـوْتُ ربّـاً بـالـرّضَـا أنْ يَـخْـتِـمـا
وإلـى مَـقـامِ الـعِـزّ قُـدْتُ نـجـيـبـةً ... فـي الـدوّ دون هـواي تـحـتـملُ الـظّـمـا
تَـجْـري فَـتـتـبـعـهـا ريـاحٌ ذات إعْـ ... ـصَـارٍ فـلا يُـلْـفَـى بَـرَاكـبـهِ الـسَّـمـا
لـم تَـدْرِ مـا تَـسْـعَـى إلـيْـهِ وإنّـمـا ... رَجُـلٌ تـخـوّلـهـا الـرّضَـا والأنـعُـمـا
حـتَّـى أظـلَّ الـرّحْـلُ مـنـهـا مـقـصـدٌ ... تـجـبُ الـحـقـوقُ بـهِ فَـتـنْـسَـى الـمَـغْـرَمـا
ومَـلـيـحـةٍ كـشـفـتْ خِـمـاراً تـحـتَـهُ ... قَـمَـرٌ تـقـدُ بـهِ الـسّـوادَ الأعـظَـمـا
وأحـالـتِ الـلـبّـاتِ عـنْ كَـافُـورتـيْ ... نَهْدٍ يُشاكلُ في البياضِ المِعْصَما[1]
وَلـوَتْ عـلـى ذي عِـقّـة كـلـفٍ بـهـا ... جـيـداً تـزانُ بـمـثـلـهِ الـبـيـضُ الـدُّمـى
ونـأتْ مَـزاراً واسـتـطـابـتْ مَـوردا ... مِنْ دونهِ الوَرْدُ الدلهمسُ حَمْحَما[2]
مَـرمـوزة بـيـضـاء يَـمـنـعـهـا الـحَـيـا ... بـكـلـيـم ذي شـغـفٍ بـهـا قَـدْ أكـلـمـا[3]
تُـدعـى بـسـافـرةِ الـجَـبـيـنِ نـتـيـجـة الْـ ... ـفِـتَـنِ الـمـثـيـرةِ فـي الـمـكَـرِّ الـمُـقـتـمـا[4]
لَـيْـسَـتْ لِـمـن بـذلَ الـنـفـيـسـةَ كـفّـه ... بِـمـجـيـبـةٍ حـتَّـى يـذوقَ الـعَـلْـقَـمـا
لَـوْ نـازلـتْ بـالـلَّـحْـظِ أَشْـرَسَ فِـتْـيَـةٍ ... لَـثَـنَـى الـركـاب أَصـمّ يـسـمـعُ أَبْـكَـمـا
وَعـدتْ بِـوَصْـلِ عَـمـيـدهـا وتـخـلّـفـتْ ... فـأذاعَ فـي الـمـلأ الـهَـوى مُـتـظـلّـمـا[5]
وأبـانَ مَـعـذرةً وجـاءَ مَـحـجَّـةً ... والـى الـتـي وَعَـدْتـهُ آبَ مُـكـلّـمـا[6]
لـو كـانَ بـردُ الـوصـلِ أثـر حـرارةِ ... الأعـراضِ كـانَ عَـلـيَّ أن تَـتـكَـتَّـمـا
ويَـقـول مـثـلـي يـضـربُ الأمـثـالَ فـي ... أمـرٍ يـعـودُ إلـى الـمُـعـتَّـقـةِ الـلّـمَـى[7]
لا يـحـسـبـنّ أخـا الـهَـوَى يَـسـلـو وإن ... أصْـغَـى إلـى عُـذّالـه مُـتـنـدِّمـا
فـالـصـبُّ يـسـتـمـعُ الـعـذولَ وقـلـبـهُ ... لِـمَـقـالِ ذي عـذلٍ أبـى أنْ يَـفْـهَـمـا
والـمـرءُ لـيـسَ لـمـن إلـيْـهِ أتـى سِـوَى ... الأذنـيـن يـلـقـفُ بـالـقـبـولِ الـمُـؤلـمـا[8]
وَلـربَّ مـلـفـوظٍ يـقـالُ ولا مَـسـا ... غَ لـهُ وقـائـلـه بـحـنـثٍ أقْـسَـمـا[9]

---

(١) اللَّبَّاتُ: جمع اللبَّة: موضع القلادة من العُنق. يُشاكل: يُشابه.
(٢) نأت: بَعُدت. الوَرْدُ: الأسد. الدلهمس: من أسماء الأسد. حَمْحَمَ: صَوَّت.
(٣) مرموزة: رصينة، وقورة. الشَّغَفُ: شِدَّةُ التَّعلُّق والحُبّ.
(٤) المَكَرُّ: موضع الكَرِّ. المُقْتَمُ: المُغْبَرُّ؛ والمَقْتَمُ (بفتح الميم): موضع القتام (الغبار).
(٥) العَميد: الذي أضناه الحُبُّ وفَدَحَهُ.
(٦) المحجَّة: الطريق الواضح. آب: رجع، عادَ.
(٧) المُعتَّقة: القديمة. اللَّمَى: سُمْرَةٌ في الشفة تُستحسن.
(٨) لَقِفَ الشيء: تناوله بسرعة. (٩) الحَنْثُ: الإخلاف والنقض.

وَلـقـدْ أقـولُ لـهـا وقـلـبـي خـافـقٌ ... وَجِـلٌ بـهِ مـا يُـذهـلُ الـمُـتـوسّـمـا
يـا مـيّ هـلْ نـفـذتْ بـجـسـمٍ مـثـل بـا ... رقـةِ الـعـيـونِ ظُـبـاً تـشـقُّ الأعْـظُـمـا[1]
فـأجـابَ نـاظـرُهـا سـألـت عـن الـذي ... فـي الـجـوّ يـسـفـعُ بـازَهُ والـقَـشْـعَـمـا[2]
وَيُـعـفّـر الأسـدَ الـهَـصُـورَ ويـصـفـدُ الـسّـ ... ـبـعَ الـغـيـورَ ويَـسْـتـرقُّ الأعْـصَـمـا[3]
وعـنِ الـذي بـالـكـفّ يـنـبـو مَـرَّةً ... وبـضـربـةٍ أُخـرى يُـعـود مُـثـلَّـمـا[4]
فـالـفـرقُ مـثـلُ الـحـدّ بـيـنـهـمـا يُـمَـيْـ ... ـيِـز بـيـن مُـشـتـبـهـيـن فـيـمـا أَبْـهَـمـا
فَـوقـعـت بـعـدَ الـعـلـمِ هـذا جـاهـلاً ... لا تـعـلـمـنَّ مـن الـيـمـيـنِ الأشـأمـا
فَـثَـنَـتْ بـحـاجـبـهـا الـخـطـاب وقَـدْ قَـضَـى ... بِـنـبـالـهِ لِـحـشـايَ فـيـمـا أَسْـهَـمـا
قـالـتْ أبِـالـصَّـبْـرِ اتْـزرْتَ فـقـلـتُ مِـنْ ... شِـيـمـي الـتـصبُّـر مـا حـييتُ مُـسـلّـمـا[5]
قـالـتْ فَـفـيـمَ وَمِـمَّ يَـجـري طَـافـحٌ ... مِـنْ مَـأْقِ جَـفْـنِـك إذ تـدفـق عَـنْـدَمـا[6]
فأَجَبْتُ فيك ومنكِ حينَ نأيتِ عَنْ ... وطنٍ بكِ استدعى السُّلوَّ فَخيّما
قـالـتْ فـهـلَّا كـنـتَ مُـطَّـرحـاً لـمـا ... ألـهـاكَ عـنْ سَـنَـنِ الـهـدايـةِ مَـهْـرَمـا
قـلـتُ الـغـرامُ لـه يـدٌ لـولا مُـجـا ... هـرتـي بـه بِـكِ مَـا دُعـيـتُ الـمُـغْـرَمـا
قـالـتْ فـقـد فَـرَّطْـتَ فَـاسْـمَـعْ طَـائـعـاً ... إنْ كـنـتَ ذا رشـدٍ حَـنـيـفـاً مُـسْـلِـمـا
مـا قَـدْ مَـضَـى فَـبِـحُـكْـم لَـو لـم تُـذنـبـوا ... فَـارْجـعْ هُـديـت إلـى الـرّشـادِ مُـيـمِّـمـا
وازمُـمْ مَـطـايـا الاسـتـفـادة واقْـطَـع الْـ ... أَمَـتـى مُـجـداً جِـيـلَـهـا والـدَّيـلـمـا
وارحـلْ إلـى مَـنْ لاحَ فـي عـنـقِ الـعـلا ... بـدراً وأغـنـى الـمُـسـتـمـيـح الـمُـعْـدَمـا[7]

---

(١) الظُّبا: جمع ظبة: حَدُّ السيف.

(٢) سَفَعَ الشيءَ سَفْعاً: قبضَ عليه وجذبه بِشدَّة؛ وسفعت الشمس أو النار وجهه: لفحته فَغيَّرت لونه. الباز: ضربٌ من الصقور. القَشْعَمُ: النَّسْرُ الضخمُ المُسِنُّ.

(٣) يُعَفِّرُ الشيء: يُلطِّخُهُ بالعَفر (التراب). الأسد الهصور: الشديد الهَصْر (الكَسْر أو الفَتْك). يُصفد: يُقَيِّدُ. يَسترقُّ: يَسْتعبد.

(٤) نبا الشيء نُبُوّاً، ونُبيّاً، ونَبْوَةً: لم يَسْتو في مكانه المناسب؛ ونبا السيفُ عن الضريبة: لم يُصبها. مُثلَّمٌ: مُكسَّرٌ.

(٥) اتَّزَرَ، وائْتَزَر: لبس الإزار؛ واتَّزَر الصَّبْر: تَحلَّى به، اتخذه إزاراً (على سبيل الاستعارة). الشِّيم: الصِّفات أو الطِّباع.

(٦) طافح: من طفح الإناء: امتلأ حتى فاض من جوانبه. المأق، والمؤق، والمُوق: طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع. العندم: صبغٌ أحمر بلون الدم.

(٧) لاح الشيءُ: بدا وظهر. المُسْتميحُ: من استماح فلاناً الشيءَ: سأله أن يعطيه إياه. المعدم: الفقير الذي لا يملك شيئاً.

وانـزلْ بـأَعْـلَـى ذروةِ الـمِـنَـنِ الـتـي ... فيـهـا مَـعـينُ الـفـضـلِ يَـبـري الأغـتـمـا
تلقى ابن بَجْدَتها الكريم العَالم المِـ ... ـفْضالَ خَيْر فتًى إلى العَليا سَما[1]
عـزّ الأنـام الـمـاجـدَ الـبـدرَ الـذي ... تـبـع الأولـى شـهـمـاً فـكـانَ الأقـدمـا
وَحَمى حِمَى الشرعِ الشّريف وخاضَ في ... مـا لـم يَـخـضْـهُ الأقـدمـون فَـتـمَّـمـا
حَـفـظ الـدقـائـقَ وهـو يـعـلـمُ أنـهـا ... لِـسـواهُ مـنْ أقـرانـهِ لـنْ تُـفـهـمـا
وَلـو أنّـهـا اتّـضـحَـتْ لـذي رَشـدٍ لـمـا ... عَـرفَ الـصـوابَ بـهـا ولا كَـشَـف الـعَـمـا
أتـرى الـنِّـسـا ولـدتْ نَـجـيـبـاً مِـثْـلَـهُ ... إنْ قـلـتَ قَـدْ ولـدتْ كَـفـرْتَ الـمـنـعـمـا
وَركـبْـتَ مَـتْـنَ الـذنـب لا مُـتـخـوّفـاً ... مِـنْ شـؤمِ فـاقـرةٍ تُـضـاهـي الـمـأثـمـا[2]
وَجـنـيـتَ مِـنْ شَـجـر الأسـانـدِ مـا ومـنْ ... حـيـثُ انـبـعـاث الـكُـفـر حـيـثُ جَـهـنّـمـا
وَعـدلْـتَ عـن سَـنـنِ الـهُـدى وكُـتِـبـتَ فـي ... صُـحـفِ الـكـرام بـلا ارتـيـابٍ مُـجْـرِمَـا
فَـهـو الـذي ظَـفـرتْ يـداهُ بـطـائـلٍ ... وأشـادَ ربـعـاً قَـبـلَ كـان تَـهـدَّمـا[3]
وَهَـدى إلـى سَـنـنِ الـتُّـقـى وأفـادَ واسْـ ... ـتَـقْـصَـى الـمـبـاحـثَ واسْـتـفـادَ وعـلَّـمـا
وَجَـلا ظَـلام دُجَـى الـجـلادِ بـهـيـبـةٍ ... تُـدلي الرؤوسَ على الصّدورِ لِيَحْكُما[4]
فَـيَـديـنُ شـرعـاً كـلّ أصـيـدَ أغـلـبٍ ... وَيُـنغّـص الأسـد الـهـصـور الـمَـطْـعَـمـا[5]
ويـجـازمُ الإصـدار رَجْـح كـتـابـهِ ... يَـجـري عـلـى الـقَـدرِ الـنـزيـلِ مـنَ الـسَّـمـا
قَـلَـمٌ بـأبـكـارِ الـمـعـارفِ مُـولـعٌ ... وبـمـا يـحـجُّ الـخَـصْـمَ أضْـحَـى مُـغْـرَمـا[6]
وإذا اسـتـمـدَّ لـمـا يَـسُـوء ويـتـقـي ... كَـسَـرَ الـقـنـا الـخـطِّـي وفَـلَّ الـمِـخْـذَمـا[7]
وبـيـوم بـأسٍ لـو تـنـاول كَـفّـه ... سَـيـفـاً لِأمـرٍ مـا لـخـاضَ بـه الـدّمـا
وَبِـلـفْـظِ بـدرٍ لـقّـبـوه لِـبـأسـهِ ... بَـدْراً يُـجـلّـي الـخـطـبَ إنْ مـا أَظْـلَـمـا

---

(١) ابن بجدتها: العالم الخبير بها. سما: علا وارتفع.

(٢) المَتْنُ: الصُّلب (الظهر). الفاقرة: الداهية.

(٣) الطائل: النَّفْع، أو الفائدة، أو الفضل، أو الغنى. أشادَ البناء: رفعه وأعلاه.

(٤) الدُّجَى: الظلمة. الجِلَادُ: المضاربة.

(٥) الأَصيدُ: المتكبر المزهوُّ بنفسه، أو كلّ ذي حولٍ وطولٍ من أصحاب السلطان. الأغلب: العظيم الرقبة (كناية عن السيادة والسطوة). أسد هصور: شديد الكسر والفتك.

(٦) أبكار المعارف: جديدها الذي لم يُطرق أو يُعرف بَعْد. يحجُّ الخصم: يغلبه بالحُجَّة.

(٧) القنا الخَطِّي: الرمح المنسوب إلى الخَطّ (بلدة اشتهرت بصناعة الرماح)، فَلَّ: كَسَرَ أو ثَلَّمَ. المِخْذَمُ: السيف الحَادُّ القاطع.

فهو الذي لم تلقَ إلّا دافعاً ... يومَ الكتيبةِ بالكتابِ الصَّيْلَما[١]

وَلِكُلّ مُنشٍ زلّةٌ ظَفرتْ بها ... الأعدا سِواهُ ولا أحاشي أَعْلما

خُرْسٌ إذا كتبوا أثاروا فِتنةً ... وإذا كتبتَ جَعلْتَ طِرْسَك طَلْسَما[٢]

والناسُ مُختلفون إلّا أنَّهُ ... يأتي اتّفاقُهمُ وِلادة آدمَا

والفرقُ في الآرا فمنْ عانٍ ومنْ ... ذكرٍ بحُسْنِ الرأي أَطْفَى المُضْرَما

سَلّابُ منْ ناواهُ أسهمَ حَرْبهِ ... غَلَّابُ مَنْ ماراهُ فيما أَبْرَما[٣]

يجري على حقٍّ ورُبَّ مُفوِّقٍ ... جَهْلاً لمُهجتهه أراشَ الأسهما[٤]

والحقّ إن يخفيه قولُ مُكذِّبٍ ... فالسّمتُ عن سرّ الفتى قَدْ تَرْجَما[٥]

ولَعلّ ذا حُمقٍ يقولُ مُباهتاً ... أغرقت في حُسنِ الثّنا مُتجشّما[٦]

وكأنّ ما نَظَمتْ يداكَ تَمجُّه ... الأسماع فَامْدَحْ إن أردتَ الأكْرَما

فأجبتُ مَنْ يُدعى بأَكْرمِ ضَاحكٍ ... وَمَن الذي يُهْدَى بهِ ربُّ العَمَى[٧]

ومَن الذي الأعلامُ بين يديهِ في ... أمرٍ كَبيرُهُم جَثَا مُتعلّما[٨]

فأجابَ بدر الدين لكنْ عاقهُ ... مِنْ بعدِ إنكارٍ فَساءَ اللُّوَّما

فَتكلّفوا لِلحقِّ حتَّى قالَ أرْ ... شَدُهم أرَى ما قُلْتَ ديناً قَيِّما

وَلو أنَّ في الدنيا أخا رُشْدٍ لما ... جَهلَ الصّوابَ وقَدْ أنار مُؤمّما

لا غالَ قَدْرَكَ صَرْفُ دَهْرٍ واهْتَدى ... لِمُرادِكَ الزمنُ العَصيُّ فَألزما[٩]

وَعَلى مُحيّاكَ التَّحياتُ التي ... وَجَبتْ بِلُطفِ اللَّهِ مِنْ باني السَّما

ولها مشفعة تحيةُ جَهْبذٍ ... مِمّنْ إليْه الفضلُ في الخلقِ انْتَمى[١٠]

---

(١) الصَّيْلَمُ: السيف؛ أو الداهية تستأصل ما تُصيب.

(٢) الطِّرْسُ: الصحيفة. الطلسم: الشيء المُبهم.

(٣) سَلَّابٌ: كثير السَّلْب. ناواه: باراه أو نازعه. ماراه: جادله. أبرم الشيءَ: أحكمه.

(٤) أراش الأسهم: رَكَّب عليها رِيشاً.

(٥) السَّمْتُ: الهيئة. ترجم: فَسَّر ووَضَّح.

(٦) مباهت: من باهت فلان فلاناً: استقبله بالبهتان، ومنه: تباهت القوم: قذف بعضهم بعضاً بالباطل. مُتجَشِّمٌ: من تَجشَّمَ الشيء: تكَلَّفهُ على مَشَقَّةٍ.

(٧) رَبُّ العَمَى: صاحبه (الأعمى).

(٨) جَثَا الرجل: جلس على ركبتيه.

(٩) غال الشيء: أهلكه، وغال فلاناً: أخذه من حيث لا يدري فأهلكه. صَرْفُ الدهر: حدثانه.

(١٠) الجَهْبَذُ: العالم الخبير.

(حسن) الفعالِ مع اسمهِ أزكى بَني (حَنَشٍ) وأهْدَى مَنْ مَشَى مُتلثّما
العالمُ البرُّ الكريمُ الماجِدُ النَّـ ـدْبُ المصدقُ في الوَرَى إنْ كَلَّما[1]
وَهو الذي في رَاحتيْهِ وَاصلُ بن عَطاءٍ ادّخر المحامِدَ مَغْنَما[2]
لا زِلْتُما بَدْرَيْ سَماء إفادةٍ وَعلَيْكُما صَلَّى الإله وسَلَّما

ومن سهولة النظم عليه أني لما سألته عن مولده كتب إليَّ هذا البيت مشتملاً على تاريخ السنة مع ذكر الشهر وذكر اسمه وقبله بيت وهما: [من مجزوء الرجز]

قَدْ قلتُ للبدرِ الذي غذى الوَرَى إفادتُهْ
أرخ لطف اللَّه في شَعْبانِهِمْ وِلادَتُهْ
سنة ١١٨٩

وله إليَّ قصائد فرائد مشتملة على فوائد، وهو الآن مُستمرٌّ على حاله الجميل مُكِبٌّ على المعارف العلمية. (ووالده) من أهل الخير والصلاح والدين المتين والاشتغال بالعبادة والإقبال على العمل بالأدلة، مع اطلاعه على الأخبار والأشعار، وحسن محاضرته، وجودة بادرته، وفصاحة لسانه، وحسن فهمه وعقله، وحفظه الكثير من الأحاديث ومذاكرته بها، وهو يلازم مجالس تدريسي، ويقرأ عليَّ في مثل البخاري وغيره. ويحضر في غير ذلك حضوراً، ويفهم ويتدبر ويستخرج بفكرته الصافية ما لا يستخرجه من هو فوقه في العرفان. وله في علم المواقيت يدٌ طولى، وكذلك في علم التاريخ ويزاحم في حفظ أحاديث الأحكام أكابر العلماء، بل قد يحفظ ما لا يحفظون، ويفهم ما لا يفهمون. وهو رجلٌ ساكنٌ فاضلٌ منجمعٌ يقتفي آثار السلف ويهتدي بهديهم ويمشي على طريقتهم. (ومات) رحمه اللَّه في سنة ١٢٢٣ ثلاثٍ وعشرين ومائتين وألف.

وولده صاحب الترجمة صار الآن متصلاً بمولانا الإمام المتوكّل على اللَّه أحمد بن المنصور، وله عنده حظ وافر، ولكنها لا تزال تقع منه سعايات إليه بأخبار الناس وما يقولونه، واستعمل ذلك حتى في أصدقائه. وأكثر السعاية إليه بمن هو أكثر الناس إحساناً إليه، وهو العلَّامة الحَسَن بن عليّ حَنَش، وقرابته، ونالتهم بسببه مصائب عظيمة، حتى أُخرجوا من بيوتهم. وهكذا أكثر السعاية بغيرهم ممّن له عليه جميل وإحسان، وأظهر الترفع والتعاظم على من كان في

(١) الماجد: الشريف الخَيِّر. النَّدْبُ: السريع الخفيف عند الحاجة.
(٢) واصل بن عطاء: من كبار علماء الكلام، من المعتزلة. توفي سنة ١٣١هـ (معجم الأدباء: ٧/ ١٨٤).

حكم خادم من خدامه يتشرف بالوصول إليه والمجالسة له. وكشف قناع الحياء وكاشف بالمكروه من يقدر على مكاشفته، وأكثر التحرش والسعاية في السر بمن لا يقدر على مكاشفته. وكان يثب على الوصايا والأوقاف فيأخذ أكثرها لنفسه ويحرم الضعفاء من مصارفها، ويصول عليهم باتصاله بالإمام، فصار اتصاله به من أعظم ما يعده الناس من مثالب الإمام المتوكل رحمه اللَّه على كثرة محاسنه. ثم صار يتكلم في مسائل ويأتي فيها بما يضحك منه ولا مقصد له إلّا بأَن يقال إنه جاء بما لم يسبق إليه مع أنه يعلم بحقيقة الحال كما قدمنا لك في صدر هذه الترجمة من عنايته بالطلب وحسن فهمه، وصار ذلك منه سبباً للاستهزاء به والتضاحك منه، وهو مُصمِّمٌ على ذلك، كقوله: إنّ المشمش نجس يغسل منه ما وقع في الثوب والبدن، وخرافات كثيرة يطول بسطها. وكنت أنصحه فلا ينتصح، وربما يخطر ببالي أنه قد أصيب في عقله، ولكني أنظر إلى شِدَّة مكره وعظيم سعاياته في الناس ومحبة إنزاله للمكروه بالمحسنين إليه على مسالك دقيقة لا يهتدي إليها إلّا من عَظُم فكره، وخبث خداعه، مع مكالبته على أموال الوصايا والأوقاف، واحتجانه لما ظفر به منها على أي صفة كان، فأقول: ليس هذا صنيع من في عقله خلل، بل صنيع من يحب أن يتحدّث الناس عنه، ولو ما فيه عليه مزيد شناعة. دع عنك هذا فالشأنُ كل الشأن أن الرجل صار يتكلم في مواقف الإمام بمسائل فيها الترخيص فيما حرّمه اللَّه تحبّباً وتَقرُّباً بحيث إنَّ السامع إذا سمعه اقشعرَّ جلده. وكان يتجنّب ذلك في حضوري كثيراً، ويفعله إذا غبت. وبالجملة فقد انمحى عنه نور العلم، ولم يبق عليه شيء من بهجته. وصار يَتَّصل بالظَّلَمةِ من الوزراء، ويُحَسِّن لهم ما هم فيه، وهم يحاسنونه لعلمهم بما هو فيه من التجسُّس للأخبار ورفعها إلى الإمام. ثم لما مات الإمام المتوكّل رحمه اللَّه اتّصل بولده مولانا الإمام المهدي، ولكن دون اتصاله بأبيه، فصار يتَّصل بمن هو مشهور بالشّرِّ من وزرائه، فيمشي معهم على طريقته ترخيصاً وترويجاً مع عدم احتفالهم به واحتقارهم له؛ لكنه إذا جاء بما يطابق ما هم فيه من الظلم والنهب للأموال قالوا للإمام وغيره: قال سيدنا فلان كذا فيجعلون ذلك ذريعة لما هو في التحريم من قطعيات الشريعة. ومن فواقره أنه في مواقفه يكثر الثناء على الحجّاج بن يُوسُف الثقفي الذي صار أشهر أهل الملة الإسلامية بالظلم، ويصفه بالأوصاف المادحة المرغبة للسلوك في مسلكه، وناهيك بهذا وكفى له. ولا يستنكر المُطَّلِعُ على هذه الترجمة مناقضة أولها لآخرها، فإنّ الرجل انسلخ عمّا كان فيه بالمرة وتخلّق بأخلاق يتحاشى عن التخلُّق بها أهل الجهل والسفه والوقاحة. وما ذكرتُ ههنا، إلَّا حقّاً؛ كما أني ما ذكرتُ في أول الترجمة إلَّا حقّاً، ولكن اختلفت الأحوال،

فاختلف المقال. وبعد مضيّ قريب سنتين من خلافة مولانا الإمام المهدي أودعه الحبس، وتشفعت له، فأُطلق، وأبعده من حضرته، فاللَّه يصلحنا ويصلحه[1].

(٣٨٤)
(لُطْفُ اللَّه بن مُحمَّد الغياث بن الشُّجاع ابن الكَمال بن دَاود الظفيري اليماني)[2]

العلَّامة الشهير المحقق الكبير، ترجمه صاحب مطلع البدور ولم يذكر له شيوخاً ولا مولداً، ولم أقف أنا على ذلك. ولعله استفاد تلك المعارف المحققة في رحلته إلى مكة واستقراره هنالك، فإنه لم يكن باليمن إذ ذاك من يبلغ في تحقيق علم المعاني والبيان والأصول والنحو والصرف إلى درجته، فضلاً عن أن يكون شيخاً له. وقد تبحَّر في جميع المعارف العلمية، وصنَّف التصانيف المقبولة، كشرح الشافية لابن الحاجب في الصرف، فإنَّه شرحها شرحاً مختصراً نفيساً، اشتغل به الطلبة من عصره إلى الآن. وقد لَخَّص فيه شرح الرضى على الشافية، واعتمد كثيراً على شرح الجاربردي. ومن مصنفاته المقبولة حاشيته لشرح التلخيص المختصر للسعد فإنها حاشية مفيدة لخَّصها من حواشي المختصر، كحاشية الخطائي، والسمرقندي، ومن حواشي المُطوّل كحاشية الشريف، والشلبي، والسمرقندي أيضاً. وكان يُحرِّر ما يحررونه من الاعتراضات على ألفاظ الشرحين، ويجيب عنها بما يجيبون، ويبالغ في الاختصار، ولا يأتي بكلام من لديه إلَّا في أندر الحالات وأقلها. وله كتاب الإيجاز في المعاني والبيان لَخَّصه من التلخيص للقزويني، ولكنه حذف ما وقع عليه الاعتراض من شُرَّاحه وأهل الحواشي، وأبدله بعبارة لا يرد عليها ما أوردوه، وبالغ في الاختصار من دون إهمال لما تدعو إليه الحاجة مما في الأصل. وقد شرحه ولم أقف على الشرح، ثم وقفت عليه بعد أيام، وهو شرح مختصر مفيد. ثم شرحه السيد العلَّامة زَيْد بن مُحمَّد بن الحَسَن بن القاسِم كما تقدم في ترجمته شرحاً نفيساً جداً، واعتمد فيه على حاشية صاحب الترجمة المتقدم ذكرها. وله شرح على (الفصول

---

(١) من مؤلفات لطف اللَّه حجاف: كتاب «المرتقى»، شرح به «المنتقى» لابن تيمية؛ و«ديباج كسرى فيمن تيسَّر من الأدب لليسرى» و«درر نحور الحور العين في سيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين»، و«العباب بتراجم الأصحاب»، و«قُرّة العين بالرحلة إلى الحرمين»، و«فنون الجنون في جنون الفنون»، وغيرها. وكانت وفاته سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م. (معجم المؤلفين: ٨/ ١٥٣).

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢/ ١٥٥؛ هدية العارفين: ١/ ٨٤٠؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٥٢؛ الأعلام: ٥/ ٢٤٢.